تاج الدين الكندي

هو تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة بن حمير بن الحارث ذي رعين الأصغر الكندي [1] وهو الذي تنسب اليه المقصورة التاجية في الجامع الأموي بدمشق .

نشأته : ولد سنة (٥٢٠) ببغداد . وتوفي سنة (٦١٣) بدمشق [2] فتكون مدة حياته (٩٣) سنة اتصل منذ بدء دراسته بأبي محمد سبط ابي منصور الخياط وكان مقرئاً لغوياً نحوياً حنبلي المذهب فتأثر الكندي بثقافة شيخه فكان مثله مقرئاً لغوياً حنبلياً وكان أصغر تلامذته وأنبلهم وآخرهم قراءة عليه .

وتطور عقل تاج الدين بعد ذلك فترك المذهب الحنبلي الى المذهب الحنفي ولا نعلم العامل له على ذلك وفي أي سنة من سني حياته كان هذا التحول .

ولكننا نعلم انه في شبابه غادر بغداد معقل الحنابلة وأخذ عن علماء الشام وان آخر عهده ببغداد سنة (٥٦٣) فاستوطن مدينة حلب يتاجر بالخليع من الثياب فيبتاعها ويسافر الى بلاد الروم (الأناضول) ثم يعود الى حلب [3] فمن الجائز ان يكون في هذا التاريخ امتزج بعلماء الروم الذين أكثرهم حنفية وان يكون تحوله الى المذهب الحنفي حول هذا التاريخ .

---

(١) معجم الأدباء طبع مصر [١١ ـ ١٧٢] وبغية الوعاة [٢٦٩] وفيها (زيد بن الحسن) مكررة ثلاثاً (٢) يتفق كل من ترجمه على وفاته في هذا العام إلا ماجاء في معجم الأدباء لياقوت من ان وفاته سنه [٥٩٧] ولا شك في خطأ هذا النص خصوصاً وان اجازة الكندي بشرح معاني الآثار التي وقع في آخرها بيده كان تاريخها في سنة [٥٩٨] ومن الغريب أن يشير ياقوت اليه في عدة مواضع في معجمه بقوله : شيخنا ولا يشير الى ذلك في ترجمته ويغلط في تاريخ وفاته مع ان الراجح ان اجتماع ياقوت بالتاج الكندي كان بعد سنة [٥٩٧] وهذا ما يجعلنا نرجح بأن تدليساً ونقصاً وقعا في النسخة الخطية التي طبع عنها معجم الأدباء في ترجمة الكندي (٣) ابن خلكان [١ — ٢٠٥] وانباه الرواة للقفطي راجع [١١ — ١٧١] معجم الأدباء لياقوت طبع مصر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

شيوخه في علم القراءات : اعتنى به شيخه سبط الخياط عناية فائقة لشدة ذكائه وصغر سنه فحفظه القرآن الكريم ثم أقرأه بكل ما قرأ به على شيوخه من علم القراءات ككتب ابي العز القلانسي ، والكامل للهذلي ، والاتضاح والايضاح والوجيز والاقناع الأربعة للاهوازي وغير ذلك من الكتب ولم يكتف في تلقينه ماعنده من علم ورواية بل جهزه الى أبي القاسم هبة الله بن الطبر فقرأ عليه ست روايات أخرى ثم جهزه الى ابي منصور بن خيرون وابي بكر خطيب الموصل وابي الفضل بن المهتدي فقرأ عليه بالروايات الكثيرة فكان قارئاً من الطراز الأول ويذكرون من شدة ذكائه وقوة حافظته انه حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين وجمع الروايات العشر وهو ابن عشر ويعتبره ابن الجزري وغيره بأنه اعلا اهل عصره اسناداً في القراءات والحديث لأنه عاش ثلاثاً وثمانين عاماً بعد أن جمع القراءات [١] .

شيوخه في الحديث : روى علم الحديث عن ابن ناصر وابن السمرقندي والانماطي وسعد الخير ومحمد بن عبد الباقي الانصاري وابي منصور القزاز وغيرهم [٢] .

شيوخه في الأدب والعربية : معظم مشايخه في اللغة العربية من أساتذة المدرسة النظامية كأبي منصور الجواليقي وابي السعادات ابن الشجري وابن الخشاب فقرأ عليهم كتاب سيبويه والمقتضب للمبرد والحجة لأبي علي الفارسي وأمثال هذه الكتب . [٣]

اشتغاله بالتجارة : كان شديد الاعتداد بنفسه ، والاعتماد على جده فلم يسلك مسلك الفقهاء والعلماء في ميلهم للوظائف بل كان يشتغل بالتجارة واتخذ مدينة حلب مركزاً له كما مر [٤] ولذلك لا نجد له ذكراً في اسماء القضاة والكتاب والمدرسين أرباب الوظائف في المدارس .

(١) ذيل الروضتين لأبي شامة نسخة مصورة بالمجمع العلمي بدمشق وغاية النهاية [١-٢٩٧] وتنبيه الطالب مخطوط وشذرات الذهب [٥ - ٥٤] وبغية الوعاة [٣٤٩]

(٢) و (٣) المصادر السابقة (٤) إنباه الرواة بأخبار النحاة للقفطي [في تعليقات معجم الأدباء لياقوت طبع مصر ١٥ - ١٧١] وابن خلكان ١ - ٣٤٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

اتصاله بالملوك الايوبيين : دخل مترجمنا دمشق فمصر واقتنى عدداً من الكتب القيمة التي بيعت من خزائن الفاطميين [١] واتصل بالقاضي الفاضل فكان يتردد لزيارته في داره . وصدف أن زار عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه [٢] ابن أيوب القاضي الفاضل في داره فجرى ذكر بيت من شعر ابي الطيب المتنبي وكان تاج الدين حاضراً فشرح البيت شرحاً أعجب به فرخشاه فسأل القاضي عنه فأجاب بأنه العلامة تاج الدين الكندي فنهض فرخشاه وقبض على يد تاج الدين وخرج به الى منزله ودام اتصاله به [٣] ومن هذا الوقت أصبح تاج الدين أستاذ الملوك الأيوبيين فقرأ عليه عز الدين فرخشاه وابنه الأديب الشاعر الملك الأمجد صاحب بعلبك . والملك الأفضل ملك دمشق وأخوه الملك المحسن وهذان ابنا صلاح الدين . وعالم ملوك بني أيوب وفاضلهم المعظم عيسى ملك دمشق وفلسطين كان ينزل من قصره في قلعة دمشق ينأبط كتابه كالطلبة فيأتي دار أستاذه الكندي في درب العجمي في جيرون (اليوم حارة النوفرة شرقي باب الجامع الأموي الشرقي) وربما تأخر الدرس الذي يتقدم درسه فينتظر الى أن تأتي نوبته . وقد قرأ عليه المفضل للزمخشري والايضاح لأبي علي الفارسي ، وكتاب سيبويه وشرحه لابن درستويه وديوان الحماسة وأمثال هذه الكتب [٤] .

---

(١) انباء الرواة ، وابن خلكان .

(٢) شاهنشاه هو اخو صلاح الدين الأيوبي استشهد سنة (٥٦٣) حينما حاصر الافرنج دمشق وهو جد ملوك حماة وبعلبك الأيوبيين . أما ولده عز الدين فرخشاه فهو أول ملوك بعلبك وكان عمه صلاح الدين يجعله نائبًا عنه على دمشق حين يغيب عنها ويقول صاحب الشذرات عنه : كان ذا معروف وبر وتواضع وأدب وكان للتاج الكندي به اختصاص توفي بدمشق سنة (٥٧٨) ودفن في قبته التي بمدرسته المطلة على الميدان في الشرف الشمالي — ولا تزال القبة موجودة حتى الآن غربي مدرسة التجهيز الأولى مطلة على المرجة — وله شعر حسن منه :

اذا شئت أن تعطي الأمور حقوقها وتوقع حكم العدل أحسن موقعه
فلا تصنع المعروف مع غير أهله فظلمك وضع الشيء في غير موضعه

(٣) ذيل الروضتين لأبي شامة . (٤) ذيل الروضتين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تلاميذه : لا نكون من المغالين اذا قلنا انه كان أكثر علماء عصره تلامذة وطلاباً . ومن يتتبع تراجم أهل عصره ومن بعده يجد ان أكثر العلماء والأدباء والشعراء والرواة والمحدثين ينتسبون الى التلمذة عليه ويجد أكثر الأسانيد تجيء عن طريقه . ويقول ابو شامة عن درب العجمي الذي كانت فيه دار التاج الكندي : فكم ازدحم في ذلك الدرب من شيوخ العلم وطلبته ، اولاد الملوك وخدمته ، ومتى ما أريد اعتبار ذلك فلينظر في الكتب التي عليها طبقات السماع عليه ، ليعلم جلالة من كان يتردد اليه [1] فممن اخذ عنه ياقوت الحموي صاحب معجمي الأدبا والبلدان ، وعمر بن احمد الشهير بابن العديم ، وسبط ابن الجوزي صاحب مرآة الزمان ورضوان بن محمد بن رستم الساعاتي وعبد الرحمن المسجف الشاعران وابن معطي النحوي صاحب الألفية ولو أردنا استقصاء من اخذ عنه من علماء وأدباء وشعراء وحكماء واطباء ومحدثين ومحدثات وقراء ونحاة لبلغ عددهم المآت .

ومن حسن الصدف اننا وقفنا علي المجلدة الرابعة من شرح معاني الآثار وعليها طبقات سماع بعد أن قرئت عليه في المقصورة التاجية وسننشر نصها في العدد الآتي من هذه المجلة .

مميزاته العلمية : امتاز باللغة العربية وعلم الأدب في الدرجة الأولى فتخرج به عدد كبير من أدباء الشام ومصر والعراق . والظاهر ان علم العربية لم يبلغ في الشام الدرجة التي كان عليها ببغداد الا بواسطة الكندي . وكأنه نقل طريقة المدرسة النظامية في علم العربية الى الشام . ويقول ابو الحسن السخاوي في شرح المفصل : لقيت جماعة من أهل العربية منهم الشيخ الفاضل ابو اليمن زيد بن الحسن الكندي وكان عنده في هذا الشأن ما لم يكن عند غيره واخذت عنه كتاب سيبويه وقرأت عليه كتاب الايضاح لأبي علي مستشرحاً وأخذت

(١) ذيل الروضتين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عنه كتاب اللمع لأبي الفتح . وكان واسع الرواية ومن العجب ان سيبويه اسمه عمرو والكندي اسمه زيد فقلت في ذلك :

لم يكن في عصر عمرو مثله وكذا الكندي في آخر عصر
فهما زيد وعمرو انما بني النحو على زيد وعمرو [١]

أما مميزاته في الدرجة الثانية فهي علما القراءات والحديث قصده الطلاب من أنحاء العالم الاسلامي لعلو اسناده فيهما . قال الحافظ الذهبي : كان أعلا أهل الأرض اسناداً في القراءات . فاني لا أعلم أحداً من الأئمة عاش بعد ما قرأ القراءات ثلاثاً وثمانين سنة غيره ... ثم انه سمع الحديث على الكبار وبقي مسند الزمان في القراءات والحديث [٢] .

أخلاقه : لئن وصفه تلامذته واصدقاؤه بدماثة الأخلاق وحسن العشرة [٣] فقد وصفه بعض معاصريه بسوء المعاشرة وشراسة النفس . وبالحقيقة كان حسن المعاشرة لجماعته وأصدقائه وشديداً قاسياً على الصلفين المتعاظمين من أقرانه ومنافسيه . وبديهي ان من نال منزلة مثل منزلته وحظوة عند الملوك مثل حظوته ان لا يترك غيره في مجلسه يرتع في صلفه ، ويزهو في تعاظمه وكبريائه . فعبد اللطيف البغدادي المعجب بنفسه ، والمنتقص لأكثر علماء عصره اجتمع به فلم يجد لنفسه مرتعاً خصباً في مجلسه فيقول عنه : اجتمعت بالكندي البغدادي النحوي [٤] وكان شيخاً بهياً ذكياً مثرياً له جانب من السلطان لكنه كان معجباً بنفسه مؤذياً لجليسه وجرى بيننا مباحثات فأظهرني الله تعالى عليه في مسائل كثيرة . ثم اني اهملت جانبه فكان يتأذى باهمالي له اكثر مما يتأذى الناس منه [٥] ونرى التاج الكندي يحتقر عبد اللطيف البغدادي فيلقبه بالجدي الملتحي [٦] .

---

(١) ذيل الروضتين (٢) النجوم الزاهرة ٦ : ٢١٧ (٣) ذيل الروضتين . البداية والنهاية ١٣ ـ ٧٣ . الصفدي في الوافي بواسطة تنبيه الطالب مخطوط بغية الوعاة للسيوطي .
(٤) اجتماعه به كان في دمشق (٥) عيون الأنباء ٢ ـ ٢٠٤ (٦) فوات الوفيات ٢ ـ ٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ونجد القاضي جمال الدين القفطي — وهو قد نال في حلب حظوة عند ملكها لا تقل عن حظوة الكندي عند ملك دمشق وعنده من الاعجاب بنفسه ما عند الكندي - حينما يترجم الكندي يقول عنه : كان ليناً في الرواية معجباً بنفسه فيما يذكره ويرويه ويقوله . واذا نوظر جبه بالقبيح واستطال بغير الحقيقة ولم يكن موثوق القلم فيما يسطره [١] .

وجرت له مهاترة مع ابن دحية الكلبي لما دخل دمشق سنة (٦٠٥) فقد جمعها مجلس عند الوزير الصفي بن شكر فأورد ابن دحية في كلامه حديث الشفاعة حتى انتهى الى قول ابراهيم عليه السلام (انما كنت خليلاً من وراء وراء) بفتح اللفظتين فقال الكندي وراء وراء بضمهما فقال ابن دحية للوزير ابن شكر من هذا ؟ فقال هذا ابو اليمن الكندي . فنال منه ابن دحية وكان جريئاً . فقال الكندي : هو من ؟ كلب ينبح [٢] أنت تكذب في نسبك الى دحية الكلبي ودحية باجماع المحدثين ما اعقب وقد قال فيك ابن عنين :

دحية لم يعقب فلم تنتمي اليه بالبهتان والأفك
ماصح عند الناس فيه سوى انك من كلب بلا شك [٣]

ثم الف ابن دحية كتاباً سماه الصارم الهندى في الرد على الكندي والف الكندي كتاباً سماه : نتف اللحية من ابن دحية [٤]

وحكي عن الشيخ تاج الدين الكندي انه قال أحلت على ديوان حماة برزق فسرت اليها لأجل ذلك فلما حللتها جمع الجماعة بيني وبين ابن ظفر [٥] وجرت بيننا مناظرة في النحو واللغة فأوردت عليه مسائل في النحو فلم يمش فيها وكان حاله في اللغة قريباً فلما كاد المجلس يتقوض قال ابن ظفر : الشيخ تاج الدين أعلم مني بالنحو وأنا أعلم منه باللغة . فقلت الأول مسلم والثاني ممنوع وتفرقنا [٦]

(١) انباه الرواة (٢) البداية والنهاية ١٣ ـ ٥١ (٣) شذرات ٥ ـ ١٦٠
(٤) معجم الأدباء ١١ ـ ٢٧٥ (٥) هو محمد بن ظفر الصقلي صاحب التآليف الممتعة منها كتاب سلوان المطاع توفي سنة [٥٦٥] تراجم ترجمته في ابن خلكان [١ : ٦٦٠]
(٦) المصدر نفسه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مؤلفاته : قليل من العلماء الذين يجتمع لهم حظ التأليف مع حظ كثرة الطلاب والتدريس . لأن التدريس يتطلب الشهرة والاختلاط بالناس . والتأليف يتطلب الهدوء والسكينة والابتعادعن الناس وشيخنا الكندي — وهو قد نال جاهاً عظيماً عند الملوك والأعيان وصار له المال الوفير والمماليك العديدة الذين أعتقهم ورفدهم بعلمه وماله — غير مدفوع عن التأليف والتصنيف ولكن لم يكن له متسع لذلك بعد ان كرس وقته للافادة والتدريس وخلف مئات من تلامذته الذين أصبحوا فيما بعد من كبار العلماء والأدباء والمؤرخين والقراء والمحدثين . وقد ذكر ياقوت في معجمه ان مؤلفاته هي : تعليقات على ديوان المتنبي ، وأخرى على خطب ابن نباتة ، وكتاب نتف اللحية من ابن دحية رد فيه على ابن دحية في كتابه الذي سماه الصارم الهندي في الرد على الكندي ، وكتاب في الفرق بين قول القائل : طلقتك ان دخلت الدار وبين ان دخلت الدار طلقتك الفه جواباً لسؤال ورد عليه ، وله غير ذلك ويتضح مما ذكر ان تآليفه هي أشبه بالتعليقات والمقالات منها بالكتب الكبيرة .

موالية : كان الكندي كثير الاحسان الى الموالي والرقيق فقد اشترى عدداً منهم ورباهم أحسن تربية وأعتقهم منهم « النجيب ابو الدر ياقوت » سمي صاحب معجمي البلدان والأدباء ومعاصره . ويقول عنه ابن كثير : كان لديه فضيلة وأدب شعر جيد وتوفي ببغداد سنة (٦٢٣) [١] وورد اسمه فيمن كان يسمع على الكندي في المقصورة التاجية .

ومن مواليه وتلميذاته « ست العرب » روى عنها شيخ الاسلام ابن تيمية في الأربعين التي رواها عن اربعين من كبار مشيخته رجالاً ونساء قال : أخبرتنا الشيخة الصالحة أم الخير ست العرب بنت يحيى بن قايماز بن عبد الله الكندية قراءة عليها وأنا اسمع في رمضان سنة (٦٨١) [٢] وترجمها صاحب الشذرات بقوله : ست العرب بنت يحيى بن قايمازام الخير الدمشقية الكندية سمعت من مولاهم التاج الكندي وحضرت على ابن طبرزد الغيلانيات توفيت في المحرم عن خمس وثمانين سنة (٦٨٤) [٣]

(١) راجع تاريخ ابن كثير ١٣ ـ ١١٦ ومجلة المجمع ص ١٢٩ من هذه السنة (٢) الاربعين المذكورة [المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤١] ص ٣٦ (٣) شذرات الذهب ٦ ـ ٣٨٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

شعره : وللشيخ تاج الدين كثير من الشعر المبثوث في مطاوي الكتب . منه قوله في الربوة أعظم متنزهات دمشق لما جدد بناءها نور الدين محمود بن زنكي وجعل الأكل والنوم فيها مجاناً :

ان نور الدين لما أن رأى في البساتين قصور الأغنياء
عمر الربوة قصراً شاهقاً نزهة مطلقة للفقراء (١)

وكتب الى صديقه مهذب الدين ابي طالب محمد المعروف بابن الخيمي :

أيها الصاحب المحافظ قد حملتنا من وفاء عهدك دينا
نحن بالشام رهن شوق اليكم هل لديكم بمصر شوق الينا
قد غلبنا بما حرمنا عليكم وغلبتم بما رزقتم علينا
فعجزنا عن ان ترونا لديكم وعجزتم عن أن نراكم لدينا
حفظ الله عهد من حفظ العهد وأوفى به كما قد وفينا (٢)

ومن شعره فيما رواه عنه الرشيد العطار :

أرى المرء يهوى أن تطول حياته وفي طولها ارهاق ذل وازهاق
تمنيت في شرخ الشبيبة انني أعمر والأعمار لا شك ارزاق
فلما أتاني ما تمنيت ساءني من العمر ماقد كنت أهوى وأشتاق
عرتني أعراض شديد مراسها علي وهم ليس لي فيه اغراق
وها أنا في احدى وتسعين حجة لها في ارعاد مخوف وابراق (٣)

وفاته : توفي سنة (٦١٣) ودفن بسفح قاسيون وبني عليه قبة وجعلت له تربة وقد ترجم لها النعيمي في تنبيه الطالب وكذا العلموي والبقاعي (بالتربة التاجية) وذكروا انها بالصالحية في سفح قاسيون . أما في عصرنا فهي مجهولة لدينا .

محمد أحمد دهمان

(١) نزهة الأنام للبدري ص ٨٤ (٢) وفيات الأعيان ١ـ١٢٦ (٣) المصدر نفسه وانباه الرواة للقفطي في تعليقات معجم الأدباء ١١ـ١٧٦ (٤) معجم الأدباء لياقوت ١١ـ١٧٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net